مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية
ISSN: 2477-9881 EISSN: 2676-2153
العدد التسلسلي:23 / المجلد12 / العـدد: 01 (2026)، ص 34- 57

النصارى في الجزائر خلال العهد العثماني1595- 1830م

Christians in Algeria during ottoman era 1595-1830

أ.د . دلباز محمد[*1]، دة . بوشيبة ذهيبة[2]
[1]جامعة سعيدة. د .الطاهر مولاي (الجزائر)، مخبر الدراسات الاستشراقية، جامعة سيدي بلعباس
[2]جامعة سعيدة د .الطاهر مولاي (الجزائر)، مخبر الدراسات الاستشراقية، جامعة سيدي بلعباس
mohammed.delbaz@univ-saida.dz [1] Dehiba.Bouchiba@univ-saida.dz[2]
ORCID iD[1] 0009-0000-6452-0206 ORCID iD[2] : 5692-8159-0006-0009

تاريخ الاستلام: 2023/09/26	تاريخ القبول: 2025/05/13	تاريخ النشر: 2026/06/12

ملخص: يمثل الحضور النصراني (وجدي،1981: 197) بالجزائر إحدى أهم الفئات الدخيلة على المجتمع منذ عقود طويلة، مشكِّلة إحدى أهم العناصر البشرية الفعّالة فيه، غير أننا لا نستطيع الجزم حول تاريخ الاتصال الفعلي بهذه المنطقة، فالمصادر الغربية والعربية لا تكاد تفصل في الموضوع فصلاً تاما، ولعل الأمر راجع لتعرض منطقة الشمال الإفريقي عامة والجزائر خاصة خلال فترات تاريخية معينة إلى تدفق عناصر بشرية متنوعة لأغراض دينية، سياسية واقتصادية. ما يلفت الانتباه الوجود المعتبر للنصارى بمجتمع إيالة الجزائر منتصف القرن السابع عشر فئة معتبرة من مجموع السكان بمدينة الجزائر (دار السلطان) وشكل هؤلاء النصارى خليط مختلف من الأمم الأوروبية، وانقسموا بحسب وضعيتهم إلى مجموعتين متباينتين، الأحرار أصنافهم، مهامهم والأسرى، ظروف أسرهم، معاملتهم، واقعهم بالأيالة، افتدائهم. كما شكل الأسرى محور العلاقات الدبلوماسية بين الجزائر وغيرها من الدول الغربية.

كلمات مفتاحية: النصارى، ايالة الجزائر، الأعلاج، العلاقات الديبلوماسية، دار السلطان.

Summary: The Christian presence in Algeria represents one of the most significant foreign groups that have been part of society for many decades, forming one of its most active human components. However, we cannot definitively determine the exact date of initial contact with this region, as both Western and Arab sources provide limited clarity on the matter. This ambiguity may be due to North Africa in general—and Algeria in particular—being exposed during certain historical periods to an influx of diverse groups for religious, political, and economic purposes. What stands out is the notable presence of Christians in the society of the Regency of Algiers in the mid-17th century. They constituted a significant portion of the population in the city of Algiers (Dar al-Sultan) and comprised a diverse mix of European nationalities. These Christians were divided into two distinct groups based on theirs

Keywords: The Christian presence, European nationalities, the Regency of Algiers, Dar al-Sultan.

*المؤلف المرسل

1- مقدمة:

أدت سياسة الانفتاح التي اتبعتها الدولة العثمانية اتجاه الايالات التابعة لها إلى تدفق أجناس مختلفة من شعوب و قوميات وسط و شرق أوربا نحو إيالاتها بشمال افريقيا وخاصة الجزائر، حيث ارتبطت دول بمصالح مع ايالة الجزائر (علاقات دبلوماسية ، معاملات تجارية، بعثات تبشيرية ، مغامرات و استطلاعات علمية)، عرفت هذه العناصر البشرية بالنصارى المسحيين أو الدخلاء، حيث شكلوا جزءا مهما من مجتمع و تاريخ الجزائر خلال منصف القرن السابع عشر و بداية القرن الثامن عشر، في مقدمتها النصارى الأحرار (الاعلاج، القناصل، السفراء، الأطباء، الرهبان، التجار ة الجواسيس). والاسرى الارقاء أو ما أطلق عليهم les esclaves تكونت هذه الفئة نتيجة الصراعات الجزائرية الأوربية في الحوض الغربي للمتوسط، حيث اختلقت المصادر التاريخية في تحديد واقع فئة الأسرى النصارى بالأيالة، بل اعتبرتهم محور الصراعات السياسية في أغلب الأحوال، وهذا ما سنحاول تحديده من خلال الاشكالية التالية: طبيعة الوجود النصراني بالأيالة، التفاعل الاجتماعي للنصارى بها، أثار الوجود النصراني على العلاقات الأوربية الجزائرية.

وانقسمت فئة النصارى في ايالة الجزائر إلى:

2-فئة الاحرار الأحرار:

كانت هذه الفئة تضم عددا هاما من الأعلاج والقناصل والأطباء والتجار والجواسيس والسماسرة الذين وفدوا الى الإيالة أساسا لشراء الأسرى، هاته البضائع البشرية التي كان يعاد تصريفها في أسواق مرسيليا وليفورنه، وجنوة، وأمستردام. لذلك كانت إقامتهم بالإيالة مؤقتة لا تتجاوز السنة في أغلب الأحيان (بوشيبة،301، ص2015)

إلى جانب هؤلاء، كان هناك عدد قليل من رجال الدين الذين كانوا يقومون بافتداء الأسرى ورعايتهم بأموال التبرعات. ففي معاهدة السلم المبرمة بين إمبراطور فرنسا

وايالة الجزائر بتاريخ :1689/09/24م في بندها الخامس والعشرين:' ان الأب القائم بمهمة القسيس البابوي (أي ممثل البابا) في الجزائر يستطيع مع زميله القيام بمساعدة الأرقاء الموجودين في المملكة المعنية، حتى ألائك الموجودين في سجون الباشا. ويعتبر أفراد الإرساليات من أي جنسية يكونون هم بمثابة رعايا إمبراطور فرنسا الذي يضفي عليهم حمايته، وبهذه الصفة فانه لا يجوز مضايقتهم تحت أي مبرر كان، بل يرعون ويساعدون من طرف القنصل كالفرنسيين." (قنان، 2010، 361) وتتلخص واجباتهم في مساعدة الاسرى، وإقامة الصلاة والوعظ والارشاد في السجون، ومنحهم التوجيه الروحي، وإقامة القداس الأخير. (كاتيكارث،1982، ص104)

تمتع الأحرار الأوروبيين بعدة امتيازات، إذ كانوا يتحاكمون بمحاكم خاصة بهم ويقيمون شعائرهم الدينية بكل حرية في الكنائس الموجودة في القنصليات، (بوشيبة،301، ص2015) وتذكر المصادر انه كان يتواجد في كل قنصلية على الأقل راهب يقوم بالشعائر الدينية لرعايا بلاده بالأيالة، مثل قنصلية فرنسا التي تواجد بها اثنان، وقنصلية إنجلترا التي كان بها راهب بروتستانتي. ويذكر بايسونال "ان السيد م. دوشان الذي هو اليوم- 1725- المبعوث الكنسي للممالك، الجزائر وتونس، وطرابلس، منزله قبلة للكاثوليك الرومان." (Peyssonnel1830، p458)، وإنها تترك الحرية التامة للمتدنيين الساكنين في بلادها (عياشي 2025، ص ص61-85)

حيث كان قناصل يتولون مسؤولية الدفاع عن مصالح هذه الفئة أمام سلطات الإيالة. والمعروف من خلال المصادر أن جل هؤلاء الأوروبيين كانوا يقيمون في قصور بجنان واسعة أو فنادق في القسم الشمالي الغربي من المدينة قرب باب الوادي، أو دور مستأجرة (إما وكالات خاصة بالإيجار أو اكتراء بيوت من الأهالي حيث ورد في إحدى وثائق المحاكم الشرعية أن أحد التجار الأوروبيين قام بكراء بيت حسن التصميم فاخر الأثاث من أحد أهالي الجزائر. (بوشيبة،301، ص2015)

1.2- الأعلاج Renégats:

الأعلاج أو المهتدون هم المسيحيون الذين اعتنقوا الإسلام، ويعرفون في المصادر الأوروبية بالمرتدين. (هلايلي،2008، ص ،124) والأعلاج أيضا هم صغار المسيحيين الذين كانوا يقعون في الأسر وكانت السلطات العثمانية في جميع الولايات التابعة لها تضعهم في مدارس عسكرية أين يتعلمون تعاليم الإسلام ومبادئ الحياة العسكرية كما يتدربون على مختلف الفنون القتالية، وذلك لتأهيلهم لحياة الجندية التي سيحظون بها بعد تخرجهم، فمنهم من كان ينجح ويرتقي في المناصب حتى يصل إلى رتبة رايس يقود أسطول قرصنة بحري ومنهم من يصبح حاكم لإيالة من الإيالات العثمانية كما هو الأمر مع إيالة الجزائر التي عرفت فترة من الفترات "حكم الأعلاج". فما هي الصورة التي طبعت الجزائر خلال فترة الأعلاج؟

ذكر الفارس دارفيو أن ميليشيا الجزائر 1674 كانت تتشكل من الأتراك والكراغلة والأعلاج (Arvieux ، : 1635 P250 .)

شكل الأعلاج عنصرا مهما في الجيش الإنكشاري لذلك تمتعوا بنفس الامتيازات التي تمتع بها الأتراك وترتب عن ذلك حضور قوي لهذا العنصر في صفوف الانكشارية(P100 : 1635، Arvieux) مما أهلهم للارتقاء إلى أعلى المناصب في السلطة وهيمنوا على مختلف الأجهزة السياسية والإدارية في الإيالة وهذا راجع للسمة التي طبعت التحاقهم بالجزائر المتمثلة في الصفة العسكرية الدفاعية عن المبادئ الدينية والأطر الجغراسياسية (هلايلي،34:2008) للأراضي التي اعترفت بولائها للسلطان العثماني والتبعية للإمبراطورية العثمانية، وهذا ما يفسر حضورهم القويّ في البدايات الأولى لإيالة الجزائر حيث ذكر هايدو: « أنه في سنة 1580 ضمت طائفة الرياس بين أفرادها اثنان وعشرين علجا» (98-99 Haedo،2004p) وتمكنوا بفضل أهليتهم العسكرية وخاصيتهم الجندية من الهيمنة على مختلف مقاليد الدولة، فكان منهم الحكام والقيّاد... حيث أحصى هايدو أحد عشر

قائدا من الأعلاج، شكلت جماعة متنفذة في الدولة ففي الفترة الممتدة من 1537- 1656 تعاقب ستة وثلاثون واليا عثمانيا على حكم الجزائر، تسعة منهم كانوا أعلاجا. (p63 :Haedo،2004)

شهد القرن السادس عشر الميلادي ارتباط الجزائر بالخلافة العثمانية وتشكل الحكم العثماني (أولاد بوجمعة، مكحلي، 2023: 29-46) بها الذي تبنى سياسة الانفتاح التي تبنتها السلطة العثمانية مع إيالاتها أوفدت عددا معتبرا من الأعلاج إلى مجتمعاتها (الجزائر- تونس- طرابلس الغرب) وهذا ما جعل عددهم كبير نسبياً في مجتمع مدينة الجزائر خلال القرن السادس عشر والنصف الأول من القرن السابع عشر حيث قدر هايدو ذلك سنة 1580 في قوله:« بأنهم يمثلون نصف سكان المدينة»،(60 Haedo،2004:p) بينما كانوا حسب بيير دان «حوالي ثمانية آلاف رجل، إضافة إلى ألف أو ألفا ومائتي امرأة» (Père Dan, :1637 1937) ثم أخذ هذا العدد في الانخفاض تدريجيا وهذا راجع لعدة اعتبارات منها فقدان الرياس لصفة الجندية مع مرور الزمن، نظرا لتورط أغلبهم في الأزمات السياسية الداخلية هددت مكانة السلطة العثمانية في تلك المناطق مثل تمرد 1556 (Haedo،2004: 348) بالإضافة إلى قضاء الأمراض والأوبئة (داء الطاعون) على معظم الأعلاج بالإيالة فحسب "كانو" Cano «انخفض عدد الأعلاج خلال القرن الثامن عشر حتى لم يبق منهم سوى مائتين أو ثلاثمائة في سنة 1769» (Cano ،1796 :P185)

غير أن قبل هذا التاريخ أدى الأعلاج دورا مهما في أمن وإدارة البلاد وتجلى ذلك في رد معظم الهجمات الإسبانية على السواحل الجزائرية، وإخضاع الأقاليم المتمردة على الحكم العثماني بالإيالة، والحفاظ على حدود الدولة من خلال إفشال الحملات المغربية في الغرب الجزائري. مثل الأعلاج الذين توالوا على حكم الجزائر: حسن آغا الخادم (1545-1537م)، حسن قورصو(15571556 - م)، علج علي باشا (1568- 1571م)، حسن باشا،

فنزيانو علج (من البندقية) 1577- 1850م، سليمان باشا قطانيا1617م(بوشيبة، 2015: 203-204)

2.2- القناصل:

أدى اتساع العلاقات الخارجية للإيالة الجزائرية مع الدول الغربية، إلى ظهور مشكلة الأسرى كإحدى تبعات هذه العلاقة، الأمر الذي استدعى إرفاق قناصل لتلك الدول بالجزائر العثمانية لإدارة أمور رعاياها الخاصة، وتمثيل هذه الدول أمام حكام الإيالة، وبالتالي يعتبر هذا المنصب حساس يتوجب على صاحبه اتخاذ كل تدابير الحيطة والحذر، وجميع الوسائل الدبلوماسية لترضية الحكام. كما يجدر على الدولة المرفقة له على إتباع نفس الطريقة في التعامل مع باشوات الإيالة، أما إذا تقاعس الطرفان في كسب ود الحاكم، فهذا يؤدي إلى توتر العلاقات بين الطرفين، ويكون قنصلها الموفد إلى الإيالة مهددا بالسجن أو الأسر أو الطرد، ولعل كل من شارل وكاثكارت أمثلة واقعية تثبت هذا الوضع، حيث أورد Plantet الرسالة التي كتب الداي الحاج علي إلى لويس الثامن عشر(بوشيبة، 2015: 310)

شرح فيها فيها الأسباب التي دفعته إلى طرد القنصل الفرنسي (تانفيل) من بلاده والتي جاء فيها: «... إن هناك مثل عندنا يقول أن الإنسان يربط بلسانه، والحيوان برأسه، وهذا القنصل لا يمكنه ربط لا بلسانه ولا برأسه...». (Correspondance, 1889.p527-528)

غير أن ما تجدر الإشارة إليه، أن أغلب القناصل بإيالة الجزائر، قد تمتعوا بامتيازات هامة لم يكونوا ليحصلوا عليها حتى في بلدانهم الأصلية، خاصة أن بعض الهيئات الرسمية في الإيالة اعتنت بالصورة الدبلوماسية للقناصل وأعطتها الأولوية في فترات مختلفة من تاريخ الإيالة وما يثبت صحة هذه الحقائق التاريخية هو كل ما تعلق بأماكن إقامتهم وتوفير خدم وحرس لحمايتهم وتلبية رغباتهم، غير أن دولتهم هي من تتكفل بدفع مرتباتهم ولا علاقة للإيالة بالأمر.

2. 3- أماكن الإقامة:

اختلفت أماكن إقامة القناصل الأجانب بإيالة الجزائر غير أن مركزها الأساسي كان في دار السلطان (مدينة الجزائر) التي اعتبرت وقتئذ أكبر تجمع للدخلاء من أمم وملل مختلفة. وكان للقناصل الأوروبيين بيوتا، ومقرات في مدينة الجزائر، وكانت هذه البيوت جميلة، وفاخرة، بل كانت مميزة عن باقي الدور، والمساكن الأخرى بسبب بنائها الأوروبي. وفي هذا الصدد يذكر الأسير تيدنا :"...والمميز فيها (أي مدينة الجزائر) هي منازل القناصل الذين يبنون بذوق." (بفايفر،1974: 14) فمثلا كانت قنصلية السويد موجودة في الشارع الذي يعرف بـ"شارع القاصل" قرب باب البحر، وبالتحديد في العقار الذي سيصبح بعد سنة 1830م كنيسة اليسوعيين. (رجائي، 2014: 84) ولكن هذا ليس على عمومه فان مقر قنصلية أمريكا بالجزائر كانت مثل بيوت الجزائريين، أجرها شالر من أصحابها الجزائريين بحوالي 250 دولار).

كان للقناصل الأوروبيين إقامة ومساكن في الريف فاخرة بها مزارع وبساتين. ويشير سيمون بفايفر الى ذلك بقوله:' ...وهناك على جانبي المدينة(الجزائر) تلال ،ووديان ، وسهول تتناثر فيها حدائق السفراء الأوروبيين، وبيوتهم الفاخرة، التي تهتز فوقها أعلام بلادهم." (بفايفر، 1974: 14)

وقد كان القناصل الأوروبيين يقيمون في مكان خارج مدينة الجزائر يطلق عليه اسم "واد القناصل، في منطقة بوزريعة. (رجائي، 2014: 84)

ويؤكد هذا ميتزون :" ...وكان هذا الأخير – أي قنصل إنجلترا-قد قام بترحيل ممتلكاته وأمتعته كلها من مقر إقامته في) Metzan ،p (:57 الريف الى المدينة ..."

وكان للقنصل السويدي إقامة فاخرة رفقة عائلته وخدمه في ضاحية مدينة الجزائر مثل القنصل الإنجليزي. Metzan (،p(:57

وكانت هذه الاقامات شبه استراحات للقناصل للتمتع بجمال الطبيعة بضواحي مدينة الجزائر، وخاصة في فصل الصيف. ويذكر الأسير كاتيكارت ان القنصلية البريطانية (الإنجليزية) تبعد ثلاثة أميال عن مدينة الجزائر. (كاتيكارث،32:1982).

ان سكن القناصل خارج المدينة في مغاني (فيللات) حيث الحدائق، والبساتين التي تعطي نوعا من الحيوية، لم يكن الا في نهاية القرن السابع عشر ميلادي حيث أصبحوا اقل عرضة للخطر، وسمح لهم بمغادرة البنايات القنصلية.

2. 4- الأطباء:

سجلت هذه الفئة حضورها بمجتمع الإيالة، وكانت ذات ترحيب واسع بين الحكام والأهالي على حدّ السواء، لذلك كانت فئة الأطباء فئة ذات وضع حساس إذا ما تعلق الأمر بالأسر، فكانت حظوظها في الافتداء قليلة إذا لم نقل نادرة، لأن حاجة الإيالة للخدمات الطبية الغربية التي كانت متطورة خلال تلك الفترة جعلت الحكام يضعون في الكثير من الأحيان عراقيل أمام عمليات افتداء الأسرى الأطباء.

أما واقعها الاجتماعي في العهد العثماني يمكن الجزم أنها كانت فئة مرحب بها وعليها الكثير من الطلب، ففي عام 1775م(مجموع رسائل رقم 1641 الملف الثاني: رسالة رقم،53، 1785هـ: 1-2) وجه صالح باي طلبا إلى وكيل الباستيون لإرسال طبيب فرنسي المقيم في القالة ليعالج ولد الباي الذي كان يعاني من علة مجهولة عجز الطب البديل عن اكتشافها ومداواتها، وفي رسالة أخرى من أحمد باي إلى وكيل الباتسيون أوائل رجب 1185طلب فيها إرسال الطبيب الفرنسي إلى الباي للكشف عن مرض أصابه (مجموع رسائل رقم 1641 الملف الثاني: رسالة رقم،53، 1785هـ: 1-2).

إن الرسالتين توضحان الأهمية البالغة والحظوة الكبيرة التي كان يتمتع بها الأطباء بالإيالة إلى درجة أن إقامتهم في منطقة من مناطقها كانت محل ترحيب وامتنان، ضف إلى ذلك أن فئة الأطباء هي الوحيدة من فئة الأحرار التي كانت تتنقل بين مختلف ربوع الإيالة دون

رخصة وهذا يتضح من خلال الرسالة التي بعث بها الرئيس دحمان في القل إلى إبراهيم وكيل الحرج بعنابة جاء فيها: وصلتنا رسائل من وكيل الجزائر في تونس إلى حسن باشا حول اعتناق طبيب أوروبي الإسلام يقيم بعنابة ويتردد على قسنطينة لمعالجة المرضى..." وعلى ما يبدو من مضمون الرسالة أن الباي كان مسرورا من هذه المبادرة، فلهذا سيخفف من حدة الطلب على الأطباء ببايلك الشرق.(مجموع رسائل رقم 1641 الملف الثاني: رسالة رقم،53، 1775هـ: 21-)

اهتمت حكومة الإيالة بهذه الفئة وأعطتها أولويتها داخل المجتمع دون مراعاة لأهليتها الأخلاقية أو العلمية المهم أن تسد ثغرة مهنة الطب بالإيالة، فعينوا لهم إقامة خاصة تليق بمقامهم وحددت لهم نفقات خاصة بهم، وألحقتهم بالمستشفيات العسكرية وحاميات الجند، ومستشفيات الأسرى، وعينت لهم خدم ترافقهم أثناء أداء مهامهم، واعتنت أيضا بتوفير وسائل النقل لتحركاتهم المختلفة، فالطبيب كانت تقله عربة خاصة وهي دائما تحت تصرفه سواء تعلق الأمر أوقات العمل أو تنقلاته الخاصة، إن هذه الحظوة التي تمتع بها الأطباء والتساهل الذي حظوا به من قبل حكومة الإيالة هي ما سجلت عدة تجاوزات من قبلهم ولعل أهمها هي تلك ما تعلق باتهام طبيب فرنسي في قضية أخلاقية، حيث ورد في رسالة من صالح باي إلى وكيل الباتسيون عام 1779 حول قيام قائد بعنابة بقتل امرأة بسبب اتهامها بالزنى مع طبيب فرنسي « الحمد لله من عبد الله سبحانه المتوكل عليه المفوض جميع أموره إليه المعظم الأرفع الهمام الأنبع الصدر الوجيه الأمنع مولانا السيد صالح باي أعزه الله تعالى آمين إلى خديمنا قبطان القالة السلام على من اتبع الهدى أما بعد، فإنه قد ورد علينا كتابكم وما عرفتمونا فيه من أمر الطبيب وما وقع له مع القايد بسبب المرأة وقتل المرأة علما بأن تعلم وأننا زجرنا القايد عن فعله هذا الذي قام به لم يثبت عندنا... وكنا أمرنا قبطان عنابة أن يبعث الطبيب إليكم... أوصوا النصارى لا يجرون على عاداتهم، ولا يدخلون ديار المسلمين... حتى لا

تنسب إليهم مثل هذه الأمور...». (مجموع رسائل رقم 1641 الملف الثاني: رسالة رقم،53، 1779هـ: 1)

إن هذه الرسالة توحي بأمرين:

- الأول: إما أن الأطباء لكثرة حريتهم صاروا يدخلون بيوت المسلمين، وبالتالي أمور الشبهات واردة.
- الثاني: أن الباي ربما تغاضى عما حصل من قبل الطبيب وذلك لحاجة البايلك لخدمات هذا الأخير

- من الاطباء الذين تواجدوا بايالة الجزائر نذكر منهم: روبيرت **هيروم**: طبيب جراح، سكن مدينة الجزائر من 1689 الى 1697م. **منيارفرانسوا: جراح** من 1717 الى 1725م. **كريست شارل**: طبيب، عمل في المستشفى الاسباني من 1735 الى 1737م.

2. 5- الجواسيس:

كانت أوضاع الجزائر الداخلية غير خفية على الأوروبيين لكثرة ما كان لهم من مخبرين رسميين كالقناصل و التجار و غير رسميين كالجواسيس والسواح، (العروي،1999: 79) فالقناصل المعتمدون في الجزائر يمثلون بلدانهم لدى الجزائر ويقدّمون التقارير المفصلة حول أوضاع الإيالة السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية، وقد استعملت بعض الدول الأوروبية ، جواسيس من الرحالين و الأسرى الموجودين في سجون الجزائر ، أو العاملين في قصور الدايات ، بالإضافة الى المقيمين في الجزائر و المدن الساحلية تحت غطاء التجارة أو دراسة الآثار و النباتات و الحيوانات أو في إطار البحوث الطبية (السليماني، 1994 :71)

فالرّحالة الاسكتلندي " وليام لايتغو " « William Lightgow » الذي زار الجزائر سنة 1615 ، وصف مدينة الجزائر قائلا " تقع مدينة الجزائر على سفح ربوة شديدة

الانحدار، وتبدو مثلثة الشكل و هي محصنة جدا من ناحية البحر بالأسوار و التلال والمعاقل المنيعة، إلا أن المعاقل التي تحدق بها على شكل هلال من ناحية البّر ليست متينة و لا تجدي نفعا اذا ما تعرّضت المدينة للهجوم المفاجئ " (آبار، 1971: 48) ، من خلال هدا القول يتضح أن الرحالة بين نقطة الضعف الدفاعية للمدينة ، أي المكان المناسب لدخول القوات المعادية ، كما وصل به الأمر أن يحدّد الوقت و الفترة المناسبة للهجوم من خلال قوله : " و كثيرا ما يخرج أغلب سكان المدينة الى المرتفعات المجاورة هروبا من الجوّ الحار الذي لا يطاق في السهول الساحلية ، و تلك هي العادة في جميع المدن التي يقيم بها الأتراك في شهور جويلية ، أوت و سبتمبر ، و بما أن هذه المدن خالية في تلك الشهور من نصف أهاليها المدافعين عنها ، فتلك أحسن فترة و أنسب وقت للمسيحيين اذا أرادوا الدخول إليها أو اقتحامها". (آبار، 1971: 48)

أما الأب الترنيتاري (**الوسلاتي** ،1981: 167)، بعد مغادرته للجزائر باثني عشرة سنة، مما يرجح أن تكون الجوسسة من ضمن مهامه التي جاء من أجلها الى الجزائر. وقد اعترف خيمنسس نفسه بقوله: " إن الباي قد دخلته الريب في أمرنا و ظن أننا قد نكون من الجواسيس الذين جاءوا لمعاينة المكان ، و أمام ما يهددنا من خطر طلبنا من القنصل الإنجليزي التدخل لنا عنده مرة ثانية كي يسمح لنا بالبقاء مدّة أخرى "(دي ايبليزا و الوسلاتي 1978 : 199) و في مذكراته يبتهج خيمينس باحتلال وهران و يتمنى احتلال تونس فيقول : " إن الإرادة الإلهية التي تركت هده القاعدة للكفار أعواما قليلة ، لأن ملكنا الكاثوليكي استردها سنة 1732 ، هده العناية الإلهية لم تسمح ببناء المستشفى في وهران كي تسهل بناءه في تونس حيث الحاجة إليه لا تقل أهمية عمّا في وهران ، فهذه بعد فتحها لم يعد الأسرى في حاجة الى مستشفى لأنه لم يعد هنالك أسرى ، عكس ما هو في تونس حيث هم بكثرة ، و هذا لا يعني أن الله يريد ذلك ، و لكن الله يريد أن يحفز الأمراء المسيحيين على فتح هذه المدينة حتى لا يعود الترينيتاريون في حاجة للبقاء فيها " (دي ايبليزا و الوسلاتي 1978: 196)

أما الروسي " كوكوفتسوف " الذي زار مدينة عنابة سنة 1777 كان هدفه الرئيسي من هذه الزيارة : الاستعلام عن قوات البحرية الجزائرية التي ستنضم الى الأسطول العثماني، في حالة نشوب نزاع بين روسيا والدولة العثمانية فالحكومة كانت متلهفة للحصول على المعلومات الخاصة بدول المتوسط، بعد أن قررت كاثرين الثانية (إمبراطورية روسيا (قيصر) : (1729-1796) أن الوقت قد حان للقضاء على الإمبراطورية العثمانية، و يرجح أن تكون مهمة كوكوفتسوف مخصصة لتحضير مفاوضات سلام بين روسيا و الدول البربرية، لتحييدها في حالة حرب بين الإمبراطوريتين العثمانية و الروسية، فان فشل في ذلك فعليه جمع المعلومات اللازمة حول القراصنة و السبل الكفيلة لوضع حد لعملياتهم، و[1]) Emerit، 1787: PP 209-210 عند الضرورة تنظيم عمليات(لمقاومة القرصنة

أما فونتيردي بارادي " الذي أوفدته فرنسا الى الجزائر من أجل تسوية الخلافات التي نشبت بين الدولتين فيبدو أن مهمته كانت أشمل من ذلك، ولم يقع الاختيار عليه عشوائيا أو اعتباطا وهو الذي يحسن اللغات العربية التركية واللاتينية وأيضا اليونانية، وانضم الى مدرسة اللغات الشرقية وعمره لا يتجاوز أربع عشرة سنة، وهذه المدرسة هي مؤسسة ملكية متخصصة في تكوين دبلوماسيّي (de Paradis, 1983 :P7 (المستقبل (الجواسيس)

أما الضابط الكلونيل بوتان (فانسان إيف بوتان" ولد في 1 يناير1772م) فقد أقام في الجزائر سنة 1808 م على أساس أنه من هواة الآثار واستقبل من قبل القنصل دوفال في مدينة الجزائر ، وفحص المدينة، من رأس تامنفوست الى سيدي فرج وحصل على معلومات هامة خارج الحدود المسموح للأجانب بزيارتها، واستطاع أن يخدع يقظة الشرطة، وقدم لبلاده عملا كان من المصادر الرئيسية الى عوّل عليها منظمو حملة عام 1830 (السليماني، 1994: 71-72)

بينما " باناني" الذي مدّد إقامته بالجزائر بعد أن أطلق سراحه سنة 1814، كان من أجل التجسس انتقاما من الجزائر التي أسرته، وخدمة لأطماع الدول الاستعمارية الأوروبية، خاصة وأنه نادى صراحة باحتلال شمال أفريقيا بأكمله وأظهر أهمية ذلك للأوروبيين و قد ساق الحجج الكثيرة التي حاول تبرير موقفه بها فيقول : " أين تستطيع أوروبا أن تجد كسبا أكثر أهمية من سواحل شمال إفريقيا؟ فليس هناك مستعمرة واحدة التي أقيمت حتى اليوم في أي بقعة من العالم تستطيع أن تقارن مع هذا الساحل، سواء في مناخه أو غلاله الطبيعية و هي بقعة جميلة تنمو فيها أغلب المحاصيل (PANANTI, 1820: 576- 577PP)

2. 6- فئة التجار:

استقطبت إمكانيات الإيالة الاقتصادية أنظار التجار منذ فترة بعيدة، تعود إلى القرن الثالث عشر(13) عندما تعاملوا مع سكان المنطقة الشرقية لصيد المرجان ومنذ القرن الرابع عشر(14) مع الموانئ الغربية (Pestemaldjolou 1942, pp 220-254)وكان هؤلاء التجار من جنسيات مختلفة فمن أهم الأوروبيين الذين كانت لهم مصالح مع الجزائر: الفرنسيون حتى أن المعاهدات التي وقعت مع الإيالة في عهد لويس الخامس عشر (15) كانت كثيرة . إن التعدد الجنسي للتجار سيعطي للتجارة الجزائرية العالمية، فالكثير من المدن الساحلية طبعت بخاصية التجارة البحرية مع الضفة الشمالية.

3- الأسرى:

1.3- جنسيات الأسرى وأصنافهم:

شكل الأسرى والأرقاء الأغلبية الساحقة من النصارى بإيالة الجزائر على اختلاف أجناسهم فكان منهم الإسبان، البرتغاليون، البنادقة، الفرنسيون، الانجليز، والهولنديون، واليونانيون والصقالبة، وكان مصدر هؤلاء الأسرى يرجع بشكل رئيسي إلى عمليات الجهاد (محرز، 161:2013) البحري (القرصنة) سواء نتيجة المعارك البحرية ومطاردة السفن

الأوروبية، أو عن طريق الإغارة على سواحل وجزر الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط وشمال الأطلسي.(Pestemaldjolou 1942, pp 220-254)

كانت عائدات القرصنة من الأسرى تخضع لبيع أول عن طريق المزاد في الأسواق المحلية أو ما عرف خلال تلك الفترة بالبادستانات،(محرز، 161:2013) والثاني عند افتدائهم على يد رجال الدين والوساطة اليهودية. وذكر Philippe Gosse أن هناك مؤسسات تكونت في كل من إيالة تونس والجزائر كان هدفها العودة بالبضائع الحية والتي يمكن تصنيفها إلى أربعة أقسام: (Pestemaldjolou 1942, pp 220-254)

- Mistances (ذوي الحرف والمهن).
- Marinier يتم استعمالهم لخدمة البحارة القراصنة في السفن والغيلوطات.
- Caravanes حمالين.
- Poussabarres يكلفون بأعمال أقل مشقة.

بموجب هذا التصنيف كان بعض الأسرى يصبح ملكا للبايلك والبعض الآخر ملكا للخواص. وتجدر الإشارة أن الأسرى من ذوي المكانات كالأطباء ورجال الدين والضباط كانوا يعفون من الأعمال إلا في حالات تأخر دفع فديتهم، أما بخصوص أوضاع هذه الفئة الحساسة لا يترك مجالاً للشك عما انتظرها من مصير مجهول بالإيالة، لذلك فإن كل من مرّ بهذه التجربة فإنه كتب عنها بما خالجه من شعور وتقاذفه من أحزان وأحقاد اتجاه الإسلام عامة والعثمانيين خاصة.

ذكر وولف أنه عندما تصل السفينة الأسيرة إلى الميناء، يقاد الأسرى إلى قصر الجنينة أو "دار الإمارة" حتى يقدر الباشا أو الداي حقه الذي هو بين العشرة والاثني عشر في المائة من مجموع الأسرى... (وولف، 1986: 210.)كما يحتفظ أيضا بحق شراء أي

رقيق بالسعر الذي وصل إليه في المزاد من أول مشتر هذا بخصوص دار السلطان، أما في بيالك الإيالة، فإن البايات لهم نصيب من الأسرى، ثم يقاد بقية الأسرى إلى البانيو "Bagno" (السجن)، وفي صباح اليوم التالي يعرضون للبيع في السوق الرئيسي، ويخبر الدكتور أندر هيل بأنه كان قد جرد من ملابسه إلا ما يستر عورتهم وعرض للبيع « ... رفقة النساء والرجال...» (وولف، 1986: 210.) وهذا بعد فحص مخصص للأسرى: أيديهم وأسنانهم وصحتهم العامة، واحتمال السن، وتحديد قيمة الفداء، أما البيع فيجري بعد صلاة الظهر، لذلك بالغت المصادر الغربية في تقديرها لعدد الأسرى بالجزائر وبوجه خاص في القرن السابع عشر حيث تراوحت ما بين 20 ألف و60 ألف أسير حسب بعض التقارير والإفادات، غير أن هذا الرقم رغم المبالغة فيه إلا أنه ينم عن كثرة الأسرى في إيالة الجزائر وصعوبة إحصاءهم بدقة نظرا للحركة البشرية التي كانت تشهدها الجزائر خلال هذه الفترة كونها مدينة متوسطية كثيرة المعاملات الدبلوماسية والتجارية مع المدن الأوروبية (Lanfreducci، 1980 9401 .p)

3. 2- وضعية الأسرى بإيالة الجزائر:

تعرضت أغلب المصادر الغربية لوضعية الأسير المسيحي بنوع من التطرف والمبالغة لوضعية الأسرى بالإيالة فهي تصور حياة الأسرى بالجزائر على أنها معاناة وذل هوان، بينما تعرضت أخرى لوضع الأرقاء المسيحيين بموضوعية منها المصدر الانجليزي « الوضع الراهن للجزائر: إنهم يعاملون في غالبيتهم بشكل أفضل من غيرهم في باقي ممتلكات السيد العظيم، حيث يستفيدون من غدارة حوانيت وحانات، أو من الاشتغال على حرفهم اليدوية، مقابل دفع مبلغ شهريا لمالكيهم لا يتجاوز ثلاثة دولارات في الشهر... بهذه الطريقة نال عدة آلاف من الأسرى حريتهم بإمكانياتهم الخاصة، ولهم أيضا الحرية في تلاوة صلواتهم، وسماعها طوال أيام الأسبوع كل في سجنه الخاص، أو في الأمكنة التي يسمح بهذه الخدمة... ولديهم كذلك مستشفى...» (G.P G P, 1676 : pp. 92- 93)

ويضيف شالر في هذا الموضوع: «... والأسيرات كنّ دائما يعاملن بالاحترام الذي يفرضه جنسهن والأشغال التي كانت يطلب إلى الرجال القيام بها لم تك مفرطة المشقة، والأسرى الذين يجدون كفيلا لهم يضمن عدم هروبهم كان يسمح لهم بحرية الخروج إلى حيث يريدون مقابل دفع 75 سنتيم في الشهر...». (شالر،1985: 98- 99)

ونعتقد أنه ليس هناك أشد عذابا من حرمان الإنسان من دينه ومع ذلك فقد كان للأسرى المسيحيين الحرية الدينية وهذا حسب ميترزون:« وعندما طلع نهار 20 جويلية 1815 كان أحد العبيد قد نادانا... فأخرجنا من مراقدنا في هذا الوقت بالذات الذي كان فيه صوت صاخب ينادي الأرقاء الكاثوليكيين... لكي يحضروا أداء طقوسهم الدينية...» (Metzan, p. 19)

ذكر العالم هابنسترايت، ان المستشفى الاسباني يسيره متصرف ويساعده أحد رجال الدين المنتمين لسلك رهبنة عتق الاسرىordre de la rédemption و يقوم بأعمال خيرية كبيرة لفائدة الأسرى، به جراح وصيدلي لمعالجة المرضى. سنة 1612م نشأ الأب برنار دو مونروي مستشفى لفائدة تنظيم الثالوث المقدس بالقرب من المعبد، في غرفة في حانة سجن البايلك ،في مكان بيت هرتز و كاطلا في شارع باب عزون. (1864:144-133 pp، Berbrugger)

3.3- افتداء الاسرى بأيّالة الجزائر:

إن هذا الاختلاف في طرح هذه القضية يخضع لعدة دوافع سياسية ودينية لا يفهم من سياقها إلا الرغبة في القضاء على حكم العثمانيين بالإيالة لأنهم هم الهاجس الوحيد الذي شغل الرأي العام الأوروبي، نظرا لانتهاجه سياسة القرصنة البحرية كمبدأ أساسي في تأمين عائدات خزينة الدولة، لذلك اتخذ من عمليات الافتداء أهم مصادر الدخل في الإيالة، فبيع الأسرى بمختلف انتماءاتهم ومراكزهم ما هي إلا صفقة تجارية تتطلب دفع مجموعة من الحقوق والرسوم فعلى كل 10 بوجو يدفع لخزينة الدولة 1

بوجو أي 10% وعلى وصل الافتداء 12 ريال نصف هذه القيمة موجه للخزينة (Devoulx,Tachrifat1852, p. 58)

بالنسبة للفدية العامة لا فرق في السعر بين الضباط والأشخاص العاديين، أما في حالة الفدية الخاصة، فإن الداي يطلب 4 آلاف دولار عن كل ضابط ووكيل الربان، وألفين دولار عن كل أسير خاص، كما يتم دفع الأموال المستحقة عن كل أسير يموت بعد إبرام معاهدات. وقد تحصل الداي محمد عثمان باشا على المبالغ المالية المطلوبة عن جميع الأسرى الأمريكيين الذين ماتوا بعد 5 سبتمبر 1795. (تابليت،2007: 260)

بالنسبة لأسرى البايلك فإن مبالغ الفدية تدفع نقدا بالريال (دراهم صغار 60 سم) ، ويكون تقديم الوصول من قبل أعضاء الديوان للبایاباشي ولقائد المرسى وهناك هدايا أخرى إلزامية Etrennes يدفعها رجال الدين وتقدر بـ ألف صائمة عن كل أسير أي ما يعادل 60 إلى 70 ريال (36 فرنك) (Devoulx,Tachrifat1852, p. 24) بالإضافة إلى هدايا أخرى تتمثل في 1 ريال عن كل أسير للبایاباشي و4/1 ريا ل لخوجة الروكامجي، و4/1 ريال لكاتب الغنائم و4/1 ريال للجنود المرافقين المكلفين بأمن ورجال الدين.

ولن تتوقف المستحقات عند هذا الحد بل هناك مستحقات أخرى، فالداي يأخذ عن كل أسير 2 ريال من الحجم الكبير، الكاتبين وخوجة الدفتر 1 ريال، قائد الميناء ½ ريال، كاتب البحرية 8/1 ريال ويدفع للمترجمين الانجليز والفرنسيين 1 ريال، ومترجم الباشا 8/1 ريال، ويذكر Tassy أنه بعد الاتفاق على السعر تدفع رسوم تعرف بحق الباب،(De Tassy,1725 p, 168وهي كالتالي:

- 10% على مبلغ الافتداء للجمارك.
- 15 بياستر تدفع للداي وتعرف بحق قفطان الباشا.
- 4 بياستر للكتاب الكبار.
- 7 بياستر لقبطان الميناء.

كانت النقود المحمولة كفدية للأسرى كرسم الجمارك 3%وبذلك تعد عملية بيع الأسرى جزء من تجارة الإيالة، وتتحصل منها على رسوم جمركية، تدفع للبايلك حق 5 ريال (3 فرنك) لكل 100 ريال (60 فرنك)، ولن تستعمل النقود إلا بعد دفع الرسوم المترتبة على الجمارك.(De Tassy,1725 p, 168)

وما تجدر الإشارة إليه أن مبالغ الفدية لم تك مستقرة وإنما كانت ترتفع وتنخفض قياسا بمعدل القرصنة البحرية، وفاعلية المعاهدات واتفاقيات السلم بين الإيالة مع الدول الغربية. ودفتر التشريفات يعطينا إحصائيات حول الأسرى بالإيالة ما بين 1774- 1816 ((Devoulx,Tachrifat1852, p. 58:

جدول الأسرى بالإيالة ما بين 1774- 1816:(Devoulx,Tachrifat1852, p. 59)

السنوات	1188هـ 1774م	1189هـ 1775م	1192هـ 1778م	1194هـ 1780م	1199هـ 1785م
عدد الأسرى	1376	1496	1640	1340	2219
السنوات	1201هـ 1787م	1250هـ 1795م	1214هـ 1799م	1217هـ 1802م	1226هـ 1811م
عدد الأسرى	1041	630	1050	937	1494
السنوات	1227-1228هـ 1812-1813م		1229-1230هـ 1814—1815م		1231هـ 1816م
عدد الأسرى	1645		1487		1365

من خلال الجدول الوارد أعلاه يمكن أن نتصور حجم المداخيل من عمليات وصفقات الافتداء التي كانت تدر على خزينة الدولة والتي كانت في الغالب توجه لدفع رواتب الجنود الانكشاريين وأعضاء الديوان، كما كان جزء منها نصيب الداي أو الباي الخاص الذي اعتبره حقا مشروعا لا يمكن التنازل عنه، فهذه الإجراءات حولت البشر إلى بضائع بشرية أو قطيع آدمي يتم تسويقه وتصديره نحو المراكز التجارية الأوروبية ولا سيما مالطا وليفرون. وعدد الأسرى بالإيالة حسب دفتر التشريفات كان متذبذبا يرتفع وينخفض فهو لم يعرف استقرارا واضحا طيلة القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر وهذا راجع لظروف محلية ودولية أثرت بشكل عام على معدل الأسرى.

3. 4- ظروف الأسرى:

اختلفت إشكاليات ظروف الأسرى في المصادر الغربية وحتى في الوثائق العثمانية سواء المحلية أو الرسمية، فأغلب المصادر أظهرت التنوع الكبير في ظروف حياة هؤلاء الأسرى (رجال، نساء)، خاصة ما كتبه رجال الدين (المسيحيين) المكلفين بعمليات الافتداء والذين كانوا يختلقون حكايات رهيبة بقصد التأثير على الناس لجمع التبرعات من اجل خلاص أسرى الأوروبيين، اختلفت عن المصادر أكثر موضوعية (De Tassy,1725 p, 164)وواقعية، فمثل هذه الوقائع (القصص) لا يعتد بها في مجال تحقيق الوقائع التاريخية، ولكنها قد تكون في حد ذاتها موضوع دراسة أنثروبولوجية تاريخية لها مناهجها الخاصة في تحليل مثل هذه النصوص. كما يمكن أن تشكل أيضاً مادة للتحليل السيميولوجي والسوسيولوجي المهتم بدراسة وسائل الدعاية السياسية والإيديولوجية، غير أن ما تجدر الإشارة إليه هو أن هذه الوقائع حول ظروف الأسرى حسب الأحداث التي وضعها رجال الدين والرهبان أصبحت مع نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر مشروع احتلال فرنسي للجزائر سنة 1830م، لكن الأمر الذي يعنينا ظروف الأسرى حسب الواقع الاجتماعي والعامل الظرفي التي تباينت حسب أهلية كل فرد أسير يذكر. والجدول التالي يبين عدد الأسرى بالجزائر ما بين 1580- 1729.

تباينت التقديرات التقريبية للأسرى، حيث قدر بالجزائر ما بين خمسة عشر وعشرون ألف أسير على أكثر تقدير، ففي سنة 1587 قدر كل من بوزيور لانفردوتشي الأسرى بحوالي 20 ألف .(Lanfreducci 1980 p. 940)أسير، وقدم جيوفاني ماجيني إحصائية حول الأسرة سنة 1598 قدرت بت 15 ألف أسير بالنسبة للجزائر وحدها و32 ألف بالنسبة للبلاد البربرية.

ويذكر ماسكاريناس عددا تقريبيا للأسرى في قوله: «... يوجد بالجزائر إذا لم نأخذ في الحسبان الذين ينتمون لكنيسة روما، نحو ثمانية آلاف أسير مسيحي، ولو لم يفتك الطاعون بالعديد منهم لكانوا أكثر بكثير...» (Mascarenhas, p. 74.)هذا دون استثناء المسيحيين من الطوائف المختلفة (البروتستانت) فإننا نصل على عدد تقريبي يتراوح بين 10 و12 ألف. كما نسجل انخفاضا في عدد الأسرى ابتداء من سنة 1623 بالموازاة مع انخفاض عدد السكان في زمن كثرت فيه الأوبئة والاضطرابات، ويضيف Dumay أنه بعد وبائي عامي 1654- 1663 الذين ذهب ضحيتهما ثلث ونصف سكان الجزائر، انخفض بموجب ذلك عدد الأسرى بشكل كبير إلى 15 ألف أسير.(Dumay. 1666, pp. 1- 13)

فحسب تعبير كاثكارت فإن الأسر في الجزائر هو قطعة من الجحيم نظراً لما يعانيه الأسرى في ظروف قاسية ليس لها صلة بالإنسانية حتى وإن كان هناك اختلاف في الأديان خاصة عندما يصف جو السجون بالداخل « ... المضايقة الكبرى في هذا السجن ناجمة عن الاحتفاظ فيه بأسود ونمور تنبعث من أقفاصها رائحة كريهة... ولقد رأيت بعيني ما لا يقل عن 27 أسدا ونمرا احتفظ بهم... في هذا السجن... وما يزيد في دقة الحالة أن هذه الحيوانات المفترسة... تخرج من أقفاصها وتتهجم على المسجونين وقد قتلت فعلا عددا من العبيد (كاتيكارث،2010: 60) الذين لم يكونوا يجرئون على قتلها حتى وهم في حالة الدفاع عن النفس.. (كاتيكارث،2010: 260) وفضلات هذه الحيوانات توفر غذاء شهيا للفئران، وهي أكبر الفئران التي رأيتها في حياتي، وهذه الفئران بدورها كثيرا ما يستعملها

بعض العبيد المساكين لدفع غائلة الجوع الذي ينهش أحشاءهم، وكذلك يأكل بعض العبيد القطط بحكم الضرورة، وقد سألت أسيرا فرنسيا ذات يوم، ماذا سيصنع بالقط الذي سلخه، فأجابني: يتحتم على المرء أن يسد الرمق».(كاتيكارث،2010: 60 2) وعلى كل فإن الإطار العام لحياة الأسرى تقاذفتها الأقدار وغلبت عليها الظروف بالإيالة، ففي نظر حكام الجزائر، فإن العدو يبقى عدوا حتى وإن أصبح يملكه ويتحكم في مصيره، وعلى كل فإن جيمس ويلسن ستيفن لم يختلف عن كاثكارت في وصف وضعية الأسرى المزرية بالإيالة في قوله: « فالعبيد الذين يباعون داخل البلاد (الأسرى) يخضعون لأعمال شاقة وغير معهودة... وإن لم يقدموا خدمة كافية... فإنهم بالتأكيد سيضربون، فالبعض من هؤلاء العبيد يمشي في الحقول حافي القدمين، حيث يرعى الأنعام ويجر المحراث، ويؤدي كل الأنواع الأخرى من العمل الشاق»، (كاتيكارث،2010: 262«كما يشتغل العديد من الأسرى في أماكن أخرى من البلاد فالبعض منهم بجبل بوزريعة، والبعض في حدائق مختلفة للقناصل المقيمين في الريف والآخرون في البحرية، فأما يوم الجمعة يؤسرون بالعمل في باب الوادي...». (كاتيكارث، ص2010: 267)

وهذا الجهد الجهيد الذي يقوم به الأسرى لا يحصلون فيه بالمقابل إلا على قدر قليل من الطعام « يتمثل أساساً في كمية من البرغل الممزوج بكمية من السمن الكريه الرائحة وهو أسوأ من الشحم الحيواني، وأما درجة نظافته فيكفي أن أقول أنه كثيرا ما عثر فيه على الفئران والجرذان وغير ذلك من الحشرات والحيوانات، ومع ذلك فإن المئات من هؤلاء البؤساء أثناء مدة أسرهم يجلسون حول المائدة ليلتهموا هذا البرغل... وكأنه يتناول نوعا من الكعك الرفيع...». (كاتيكارث،2010: 260-261) أما يوم الجمعة لا يتلقون سوى رغيفا واحدا لا يزيد وزنه عن 12 أوقية، والخبز يوزع في أيام العمل بطريقة عشوائية

3. 5- الأسرى محور العلاقات الدبلوماسية بين الجزائر وغيرها من الدول الغربية:

شكل الأسرى محور العلاقات الدبلوماسية بين الجزائر وغيرها من الدول الغربية، فمثلا فرنسا غلبت نوع العلاقات بين الطرفين (ودية، مضطربة) على ظروف أسر الفرنسيين،

حيث ورد في إحدى المراسلات السلطانية توضيح لعلاقات المودة بين الطرفين: « سمعنا أنه قد تم أسر بعض الكفرة الفرنسيين، فإذا صح هذا الخبر، فإن ذلك يعتبر مغايرا للعهد... نظرا لأن الفرنسيين معروفين من قديم الأيام بكمال صداقتهم وإظهار عبوديتهم تجاه أستانة عدالتنا، وأمرت أن تتقيد بما جاء في هذا الحكم حال وصوله... فإذا تبين أن هناك من بين الأسرى البندقيين أو (دفتر مهم، ، 979هـ، عدد 12، علبة 03، صحيفة 579، حكم 1102) أسرى الدول المعادية فرنسيين... فعليك بإطلاق سراحهم، ثم أعلمنا عن ذلك كي يتمكن الفرنسيون من إرسال سفنهم لإعادة أسراهم... ولا يفوتك الحذر من اندساس الأسرى البندقيين المعادين لنا وانتهاز هذه الفرصة للخلاص والهرب، وبعد التأكد التام من هوية الفرنسيين عليك إطلاق سراحهم بموجب أمري وابعث لنا قائمة بعدد الأسرى الفرنسيين الذين تم إطلاق سراحهم...» (دفتر مهم، ، 979هـ، عدد 12، علبة 03، صحيفة 579، حكم 1102)

وعلى ما يبدو فإن أوجاق الجزائر لم يعطوا الأولوية لعلاقات الدولة العثمانية بالدول الغربية كما في السابق، خاصة في عهد الدايات ولا سيما فرنسا العدو التقليدي للجزائر، فمهما كانت العلاقة بين الجزائر وفرنسا، إلا أن القرصنة البحرية استهدفت الفرنسيين بالدرجة الأولى ولم تكترث بالرسائل الهمايونية والمراسلات القنصلية وهذا حسب تقرير السيد طاليران، التي جاء فيها: «... وهذا... فإن قراصنة أوجاق جزائر الغرب لا يخلو أمرهم عن الأفعال والحركات التي تهدف إلى تحقير وتذليل العلم الفرنسي بشكل مستمر... فإنه لا يزال حتى الآن أكثر من 150 نفر يعيشون أسرى في أيدي أولئك الغلاظ... والغريب في الأمر أن والي الجزائر بدأ يهدد بالحرب ضد الجمهور الفرنسي... دون أي اهتمام بالأصول والآداب الواجب رعايتها تجاه الجمهور الفرنسي بناءً على المعاهدات والاتفاقيات القائمة بين الطرفين...» (دفتر خط همايون، عدد 5746، تاريخ 1217)

والجدير بالذكر أن ظروف الأسر تتحكم في وضعية الأسرى بالإيالة التي تتشكل حسب علاقة دولة الأسير بالإيالة وفاعلية الدبلوماسية القنصلية في تحديد هذه الوضعية،

4- الخاتمة:

من خلال ما سيق يمكن القول أن النصارى الأحرار كونت طبقة اجتماعية ظرفية بالإيالة اختلف واقعها ومصيرها عن بعضها البعض، غير أننا لا ننكر أنها كانت فئة فاعلة ومؤثرة بمجتمع الإيالة، أما فئة الأسرى تعرضت أغلب المصادر الغربية لوضعية الأسير المسيحي بنوع من التطرف والمبالغة لوضعية الأسرى بالجزائر العثمانية، فهي تصور حياة الأسرى على أنها معاناة وذل هوان، بينما تعرضت أخرى لوضع الأرقاء المسيحيين بموضوعية، فيجب على الباحثين عند التعرض لهذه المواضيع بالحيطة و الحذر وتقصي الحقائق على الرغم من التحفظات الكثيرة والعديدة، ربما ستكشف عنها الوثائق في مستقبل قريب في دراسات جدية معلنة.

قائمة المراجع:

الوثائق الأرشيفية:

1. دفتر خط همايون، عدد 5746، (1217هـ). تقرير السيد تاليران إلى السلطان العثماني حول تأزم العلاقات بين الجزائر وفرنسا التي يعتبر الأسرى إحدى محاورها (تعريب فكري طونا، ص 2).
2. دفتر مهم، عدد 12، علبة 03، صحيفة 579، حكم 1102، الموضوع حكم إلى أمير أمراء الجزائر "علج علي" بتاريخ 08-11-979هـ (تعريب محمد داود التميمي).
3. دفتر مهم، عدد 12، صحيفة 579 (المصدر السابق).
4. مجموع رسائل رقم 1641، الملف الثاني: رسالة رقم 41 من باي إلى وكيل الباتسيون مؤرخة في أوائل رجب 1185هـ، ص 1–2.
5. مجموع رسائل رقم 1641، الملف الثاني: رسالة رقم 53 من صالح باي إلى وكيل الباتسيون مؤرخة بعام 1775، ص 1.
6. مجموع رسائل رقم 1641، الملف الثاني: رسالة صالح باي إلى وكيل الباتسيون مؤرخة عام 1779 (الرسالة كاملة).

المصادر والمراجع باللغة الاجنبية:.

1. Arvieux, L. L. d. (1735). *Mémoires du chevalier d'Arvieux* (T. 5, mis en ordre par J.-B. Labot). Paris : Delespine le Filo.

2. Belhamissi, M. (1984). *Les conflits algériens et l'Europe chrétienne (1518–1830)*. Paris: France Empire.
3. Berbrugger, A. (1864). Charte des hôpitaux chrétiens d'Alger en 1694. *Revue Africaine, 8*, 133–144.
4. Devoulx, A. (1852). *Tachrifet: Recueil de notes historiques sur l'administration de l'ancienne régence d'Alger*. Alger: Imprimerie du Gouvernement.
5. Dumay, L. (1666). Projet pour l'entreprise d'Alger. In C. Van Dyck (Éd.), *Recueil historique contenant diverses pièces curieuses de ce temps* (pp. 1–13). Cologne.
6. Emerit, M. (1975). Description de l'Algérie en 1787. *Revue d'Histoire Maghrébine, 4*, 209–210.
7. Filippo, P. (1820). *Relation d'un séjour à Alger*. Paris: Le Normant.
8. G. P. (1676). *The present state of Tangier in a letter to his Grace the Lord Chancellor of Ireland and one of the Lord Justice there to which is added the present state of Algiers*. London: H. Herring.
9. Lanfreducci, O., & Bosio, C. (1587/1925). *Costa e discorsi di Barberia* (traduit et annoté par C. Monchicourt & P. G. Randchamp). In *Revue Africaine, 66*.
10. Metzan, G. (1814–1816/éd. Houma). *Journal de captivité à Alger* (traduit en français par G. H. Bousquet & A. v. Bousquet Miranchole). Alger: Éditions Houma.
11. Pananti, F. (1820). *Relation d'un séjour à Alger*. Paris: Le Normant.
12. Pestemaldjolou, A. (1942). Le consulat français d'Oran de 1732 à 1754. *Revue Africaine*, 1er et 2e trimestre.
13. Peyssonnel, J.-A., & Desfontaines, R. (1830). *Voyage dans les régences de Tunis et d'Alger* (T. 1). Paris: Librairie de Gide.
14. Plantet, E. (1889). *Correspondance des deys d'Alger avec la cour de France 1700–1833* (T. 2). Paris.
15. Venture de Paradis. (1983). *Tunis et Alger au XVIIIe siècle*. Paris: Sindbad..